10me Année No. 466 — Lundi - 8 - 6 - 1942

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
٦٠ في مصر والسودان
٨٠ في الأقطار العربية
١٠٠ في سائر الممالك الأخرى
١٢٠ في العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العــــدد ٤٦٦ « القاهرة في يوم الإثنين ٢٤ جمادى الأولى سنة ١٣٦١ — الموافق ٨ يونية سنة ١٩٤٢ » السنة العاشرة

الفهرس

الصفاء بين الأدباء أيضاً

للأستاذ توفيق الحكيم

كانت دعوتي إلى الصفاء بين الأدباء خالصة لوجه الأدب . فأدباء مصر البارزون الدائبون على الإنتاج لا يتجاوز عددهم العشرة مع التسامح الشديد ، بينما نظراؤهم في بلد كفرنسا يبلغون أكثر من مائتين من المشهورين المنتجين ، ومع ذلك نطلع على صحفهم الأدبية فلا نرى غير تكاتف وتساند على أداء رسالة الأدب والفكر . إن الفن طويل والحياة قصيرة ، وكان الأجدر بنا نحن العشرة أن نوجه صراعنا لا إلى بعضنا البعض ، بل إلى الفن ومصاعبه وأسراره . إن « جوته » حتى وهو مستشار للدولة ما كان يستغني يوماً عن صديقه « شيلر » وهما يعملان في عين الفرع من الأدب التمثيلي ، فكانت بينهما مراسلات لا تنقطع طول النهار على قرب الديار ، جمعت في مجلدين يرى المطلع عليهما كيف أنهما كانا يتشاوران في تفاصيل القصص الذى كانا ينشئان ويتحاوران في أمر بناء الوقائع ورسم الأشخاص ، بل وفيما ينبغي أن يختار لذلك القصص من اسم وعنوان ... كنت أحب لأنفسنا مثل هذا الصفاء الذى يخرج في جوه الفن الصافي . ولكن الأستاذ عباس محمود العقاد في مقاله « صداقات الأدباء » رد يقول إن صاحب الدعوة إلى الصفاء هو الذى يبحث عن أسباب الكدر بملقاط ليخلقها خلقاً بين رجلين على أحسن ما يكون

من الصفاء ! فإذا صح هذا الزعم كان حقاً مما يدعو إلى الأسف بل إلى السخرية ! وربما كان ظاهر الوقائع يدل على ذلك ؛ ولكن هل كانت تلك حقيقة المقاصد والنوايا ؟ ليس من واجب الأستاذ العقاد فيما أرى أن يبحث خلف أستار الظاهر ، وليس من حق أن أطالبه بالنفوذ إلى أعماق النفوس ، فليكن الله وحده إذن شهيداً على ما أضمرت . وقد رأى الأستاذ العقاد أن يجزى واحدة بواحدة، فلم يفته في ختام مقاله أن يدس هو الآخر سبباً من أسباب الكدر بيني وبين الدكتور طه حسين بقوله : « إن الأستاذ الحكيم يقول بعد الإشارة إلى ثناء الدكتور طه عليه منذ سنوات : لم نسمع في غير مصر أن الناقد إذا أثنى على كتاب حسب أنه تفضل على مؤلفه ورفع شأنه من الحضيض الخ الخ » . ومضي يصورني في هيئة الناكر للجميل ، والأستاذ العقاد ولا شك قد فهم أني ما قصدت بإيراد هذه العبارة وأمثالها إلا مجرد إظهار الإساءة لطه حسين وهو في أوج نفوذه . فقلت ما نصه : « إن هذا الوقت هو أحب الأوقات عندي لإساءته لا لإرضائه ... وأما مشاعري الخاصة كانسان نحو الدكتور طه فليس الظرف اليوم مواتياً للأطناب في وصفها ؛ وسأختار الزمان والمكان اللائقين للأفاضة بها دون أن يحمل فعلي على غير محمله » . لكن ... ما دام الأمر قد حمل على غير وجهه وسجل عليّ سبباً من أسباب الكدر المانعة من الصفاء ، فهل أحجم عن العمل على إزالة الأكدار ؟ وإذا كانت الظروف هي التي شاءت أن تختار الزمان والمكان اللائقين للأفاضة بما عندي ، فماذا يجب أن أصنع أمام مشيئة الأقدار ؟ فلأتكلم إذن ولأقص القصة كما رأيتها وعشتها ...

الحقيقة أنها كانت قصة انتهت مع الأسف بانهيار صداقة من أعظم الصداقات التي عرفها أدبنا المعاصر . لقد كان مبدأ ظهوري في الجو الأدبي كما هو معلوم نشر «أهل الكهف» عام ١٩٣٣ ، ولم تكن هذه الرواية بالطبع بدايتي الأولى في هذا اللون من التأليف ، بل كانت ثمرة تجاريب عشرة أعوام أو تزيد سابقة على الشروع في وضعها ؛ فلقد كنت قبل ذلك أكتب للمسرح المصري روايات مما يلائم جمهور تلك الأيام . فتلت لي أربع قصص وعهد بالخامسة إلى المرحوم سيد درويش ليضع ألحانها ولكنه اختلف مع المسرح على الأجر المطلوب . وكانت هنالك فيما أذكر سادسة وسابعة لست أدري ما حدث لها . وإني وإن كنت أوثر نسيان هذه الروايات الأولى إلا أني لا يجب أن أنكر فضلها على تكويني الفني الأول ، فلقد كانت هي خير مران لي على ممارسة الحوار ، ثم اتسعت آفاقي باتساع نطاق مطالعاتي في أصول هذا الفن في الآداب الأجنبية . وضاقت بي مصر فرحلت إلى فرنسا بعد أن كنت قد سجلت اسمي في جدول المحامين ومهدت أسرى لحياة مجدية . ولكن أي شيطان في أعماق نفسي كان يدفعني إلى إضاعة حياتي وراء فن لم يكن له بمصر أي احترام ؟ وهنالك في فرنسا قرأت كثيراً وكتبت بالفرنسية نحو أربع روايات تمثيلية مزقت الواحدة تلو الأخرى تمزيقاً عقب الفراغ منها واطلاع بعض أرباب ذلك الفن عليها . فلم أكن قد اهتديت بها إلى شيء يذكر . ولبثت في هذا الجهاد زمناً لا أجد في آدابنا العربية مرجعاً لهذا الفن ولا مصدراً محترماً يجعلني أبدأ منه أو أضيف إليه . إنما كان عليّ أنا أن أخلق البداية خلقاً . وكتبت بعد ذلك عدة روايات من بينها « أهل الكهف » دون أن أدري أنها موفية بالغرض بعض الشيء أو قريبة من الهدف الذي أسعى إليه . وقد اشتغلت بالقضاء فأنساني هذه «الخزعبلات» ودفنت مخطوطاتي في حقائبي طويلاً أتنقل بها من بلد إلى بلد ومن قرية إلى قرية ، حتى وقعت مخطوطة « أهل الكهف » ذات يوم في يد قاض مثقف من زملائي كان يذكر أيامي الماضية في مسارح القاهرة . وانتقل بالمخطوطة إلى العاصمة ، ومن هناك أرسل إليّ يقول إنه ساع في طبعها . فتملكني الدهش . ما معنى الطبع ؟ ولماذا ؟ وماذا يحدث إذا طبعت غير خسارة المصاريف ؟ فلما أصر أصررت على ألا يتجاوز عدد المطبوع مائتين من النسخ . وهو أكبر عدد يمكن توزيعه على المعارف والإخوان . أما أكثر من هذا فلا أعرف ما أصنع به ، وليس لدى مكان أخزن فيه هذه الأكداس من الورق .

ونشرت «أهل الكهف» وحدث ما يعرفه الناس . فقد قام الدكتور طه حسين يعلن في (الرسالة) بصراحة وقوة أن الأمر ليس فقط أمر كاتب وكتاب ، إنما هو « باب أدبي جديد فتح في الأدب العربي ... الخ الخ » . وظلت تلك عقيدة طه حسين يناضل عنها حتى عند ما عارضته بعدئذ بقولي إن الحوار الأدبي عرفه الجاحظ ووجد منه كثير في كتاب الأغاني ، فقد أبى الاعتراف بذلك وأصر على اعتبار « أهل الكهف » مبدأ ظهور « الحوار الأدبي التمثيلي » باباً من أبواب الأدب العربي كما هو مقرر في الآداب الأجنبية باباً من أبوابه . ولقد كان طه حسين مخلصاً في مذهبه

إلى حد أغضب الكثيرين وإلى حد استطاع معه أن يقنع صفوة من المفكرين ، أذكر منهم « لطفى السيد » الذى استقبلنى بعد نشر « شهرزاد » بقوله : « أنت شيخ طريقة ... أقصد فى الأدب . وطه حسين على حق . وطه بخيل وهو لا يصر هذا الإصرار إلا إذا اقتنع »

تساءلت فيما مضى وأتساءل الآن مرة أخرى : هل كان فى طاقتى أو طاقة إنسان فرد أن يشكر طه حسين على كل هذا ؟! فى الحق أن عمله كان أجل وأضخم من أن أتولى أنا وحدى شكره . لقد كان على الأدب العربى ممثلاً فى رجاله وهيئاته أن يقوم بذلك . ولعل التاريخ يصنع هذا لو ثبت له أن طه مصيب

على أنى فى حقيقة الأمر لست أذكر ما اعترانى من شعور فى ذلك الوقت ، وأغلب الظن أنى شغلت عن الأدب العربى وأبوابه ومذاهبه بشىء أجل بكثير من كل هذا : هى صداقة طه حسين نفسها . فقد بعثت إليه ببرقية ، وأنا لا أعرفه ، غداة ظهور مقاله المشهور ، أشكره فيها شكراً حاراً . ثم تركت إقليمى الذى كنت فيه وكيلاً للنائب العام وجئت مصر فلقيت طه حسين ونشأت بيننا مودة كانت أرفع وأجل من أن تعيش طويلاً . لقد لبثنا شهوراً وكأن أحدنا قد عثر على شىء ثمين بعثوره على الآخر . إن طه شخصية عظيمة باهرة . إنه من شخصيات التاريخ بلا جدال . والتاريخ فيما يخيل إلىَّ فنان ، يتخير أشخاصه بيده ويطبعهم بخاتمه حتى قبل أن يلبسهم أدوارهم ويدفعهم إلى مصائرهم العظمى ! لقد كان حديث طه يسحرنى ، وشئونه تعنينى ... لقد كان مجرد اسمه يذكر أمامى يجعل نفسى تتفتح مبتهجة كأنها زهرة مر عليها نسيم ! وربما كنت أنا أيضاً أنزل من نفسه بعض هذه المنزلة . فقد كتب ذات مرة يقول : « إنى أسمع اللوم لأنى أحب توفيق الحكيم ، وأقرأ الشتم لأنى أكبر توفيق الحكيم ، وأنا أبسم للوم اللائمين وأضحك لشتم الشاتمين . لأنى لم أحب هذا الكاتب إلا لأنه ألهمنى الحب ، ولم أعجب بهذا الكاتب إلا لأنه ألهمنى الإعجاب ! »

لكن ... وا أسفاه ! لقد تغلب أولئك الشاتمون واللائمون آخر الأمر ، وفازوا بمآربهم وأشعلوا نار الوقيعة بيننا ، واضعين أيديهم على مواطن الضعف فينا ، وضعف الفنان هو عزته وكرامته وإن شئت فقل غروره ... وهكذا لم يستطع طه حسين أن يحتفظ طويلاً بابتسامه وضحكه أمام الساعين بالسوء ؛ ولم أستطع أنا أن أحتفظ باتزانى ، فأفقد المودة الصادقة ، وأضحى بالعزة الكاذبة ...

وبهذا حطمنا تلك الجوهرة التى منحتنا إياها السماء ... من أجل ... من أجل ماذا ؟

لست أدرى ما حدث بعد ذلك ، فذاكرتى الآن لا تسعفنى ، كل ما أذكر أننا حاولنا أن نرم ما تحطم ... ولقد أقمنا معاً بعض الصيف فى جبال الألب ... فضحكنا كثيراً ، ولهونا طويلاً ، بل لقد ألفنا معاً هناك كتاباً ... ولكن ... ولكنها مع ذلك لم تكن الصداقة الأولى ... لماذا ؟ لعل شيئاً فى نفسينا لم يكن صافياً كل الصفاء ، أو فى نفسى أنا على الأقل ... إنى أعترف ، لقد كنت أمتنع عن كل ما يؤخذ على أنه ملق أو زلفى ... لقد كان طه حسين وقتئذ كما هو الآن شخصية ذات نفوذ ، وأنا أكره إرضاء أصحاب النفوذ

أنا الذى كان ينبغى له أن يهدى إلى طه حسين كثيراً من كتبه ، أو على الأقل « أهل الكهف » ... كنت أتردد فى كل طبعة تصدر لهذا الكتاب أو غيره ، ولم أجد فى نفسى الشجاعة أو القوة على القيام بهذا الواجب الضئيل ... لماذا ؟ لأن طه من أصحاب النفوذ ! هذا أيضاً ما جعلنى أصمت عن التنويه بآثاره وأنا أقدر الناس على فهم ملكاته وهباته ... ولكنى الآن وقد وضعت بين تهمتين : الزلفى أو نكران الجميل ... فإنى أوثر التهمة الأولى : فقد سبق أن اتهمت بها فى مجال السياسة ، فلم تلبث براءتى أن ظهرت ، فمن السخف أن أقيم لمثل هذه الأشياء بعد اليوم وزناً ... لقد كادت تضيع بسببها أيضاً صداقتى « بمحمد المشماوى » ، فلقد تجنبته عن عمد بلا جريرة يوم عين وكيلاً لوزارة المعارف منذ أعوام ، لكنه فطن إلى الأمر ، فما زال يظهر لى من المودة أضعاف ما كان يظهر من قبل ، حتى اطمأنت نفسى ، وأيقنت أنها صداقة حقيقية بين عقلين وروحين ، لا شأن فيها للنفوذ ، ولا دخل للمناصب

إن الخلق العظيم حمل لا يقوم به غير العظماء ... ! هم وحدهم الذين أعطوا الشجاعة والقوة على أن يسيروا قدماً نحو الجميل النبيل من الأخلاق دون أن يلتفتوا يميناً أو يساراً ، ودون أن يصغوا إلى همس الهامسين وتأويل المؤولين ! !

والآن ، لعلى قد رددت على كلمة الدكتور طه حسين التى نشرها فى (الأهرام) ، ولعله اقتنع بأن الأمر لم يكن جحوداً ولكنه تردد ، وهذا لا يغير من الموقف كثيراً ، ولكن هذا خلق ، فليساعدنى على علاجه أصدقائى ! !

(البقية على صفحة ٦١٢)

الدكتور طه حسين يتحدث عن :

الحب الضائع

للدكتور زكي مبارك

حين تلطّف صاحب العزة الدكتور طه بك حسين فأهدى إليّ نسخةً من « دعاء الكروان » لم يفته أن يقول إنه سيهدى إليّ بعد أسابيع نسخة من « الحب الضائع »

وقد التفت ذهنى إلى مدلول هذا القول ، فمن عادة الدكتور طه أن يتظاهر بالتواضع ، وأن يعلن أنه لا يعنى ما يقول ، وأن الناس لا يقبلون على مؤلفاته إلا متفضلين ، فكيف حرص هذه المرة على التبشير بكتابه الجديد ؟

وزرته بعد ذلك فى مكتبه بوزارة المعارف لشأن من الشؤون التعليمية فأدركت من سياق كلامه أنه سيرسل إليّ كتابه الجديد يوم الخميس ، فما هذا الكتاب الذى يحدثنى عنه الدكتور طه مرتين قبل أن يظهر فى أسواق الورّاقين ؟

ثم جدّت شواغل صرفته وصرفتنى عن التلاق نحو أسبوعين ، فلم يُهد إليّ كتاب « الحب الضائع » إلا يوم أهديت إليه كتاب « ملامح المجتمع العراقى » ، والجروحُ قِصاص !

كان من همى أن أعرف ماهيّة الكتاب الذى بشرنى به الدكتور طه مرتين قبل أن يظهر فى الأسواق ، فكانت النتيجة أن أقرأ منه خمسين صفحة فى الطريق ، وأن أستأنف قراءته فى المصرية لأفرغ منه قبل أن ينتصف الليل

فما جزاء المؤلف الذى يفرض علينا أن نقرأ نحو ٢٢٤ صفحة فى يوم واحد ؟

جزاؤه أن نسوق له الحمد والثناء بغير حساب ، فما تسمح الظروف بأن نجد فى كل يوم كتاباً يجذبنا إليه بهذا السحر الغريب .

وما « الحب الضائع » ؟

هو كتابٌ يصوّر العواطف الطبيعية فى الريف الفرنسى لعهد الحرب الماضية . والكتاب ليس بجديد ، لا فى الروح ولا فى الأسلوب ، فله أمثال تعدّ بالعشرات أو بالمئات ، ومع هذا فلن يقول الفرنسيون حين يُترجَم إلى لغتهم « هذه بضاعتنا رُدّت إلينا » لأن طه حسين حين يقتبس لا يفوته أن يضفى ثوب الابتكار على الاقتباس .

والمهمّ هو تنبيه القراء إلى قيمة هذا الكتاب ، فمن المؤكد أن فيهم من تغيب عنه مراميه على وجهها الصحيح ، وقد يكون فيهم من يتصور أنه كتابٌ فى الحب ، والحبُّ عند الغافلين عبثٌ ومزاح !

هو كتابٌ فى الحب ، على نحو ما يتصور أديبنا العظيم طه حسين ، والحبُّ عند من يكون فى مثل حالته العقلية آصرة معقّدة إلى أبعد الحدود ، فهى تمسّ الآباء والأمهات قبل أن تمسّ البنين والبنات ، وهى تقلق المجتمع قلقلة لا يعرف مداها غير المشغوفين بدراسة أهواء العقول وأحلام القلوب

والمؤلف يُجرى الحديث على لسان فتاة تؤرّخ حياتها من مساء إلى مساء ، بعبارات فطرية قليلة التنميق والتهويل ، وهو فى أثناء ذلك يُنطق الفتاة بأقوال تفصّل من العُقد النفسية أشياء وأشياء

والمتأمل يرى فى الكتاب دقائق يمسها المؤلف برفق ، لأنه لا يريد أن يجعل فتاته كثيرة الاستقصاء ، وإن زعمت لنفسها نية الاستقصاء ، وهذه إحدى النواحى الطريفة فى هذا الكتاب الطريف .

فالآنسة مادلين لم تلتفت إلى دفتر اليوميات إلا بعد عصرية قضتها مع صواحب ألِفن كتابة اليوميات ، ومن هذا نعرف أن المؤلف يريد النص على أن النساء ينقلن عن النساء أكثر مما ينقلن عن الرجال

ثم نمضى مع صاحبة اليوميات فنعرف أنها تعيش بين أهل جعلت فواجعُ الحرب أيامهم بؤساً فى بؤس ، ومع هذا يحتال المؤلف فينطق الفتاة بكلمات نعرف منها أن للشباب أحلاماً تُنسى

أعداد الرسالة الخاصة

فى سبيل الوحدة العربية والثقافة العربية ، ستصدر الرسالة عدداً خاصاً بكل قطر من أقطار العروبة ، ينوه بفضله ويعرف بأهله . وستبدأ بعدد العراق . والمرجو من أدباء كل قطر أن يعاونوا الرسالة على أداء هذا الواجب بإرسال ما يستطيعون من الوثائق والمقالات والصور

أصحابها فواجع الحرب ، فقد رأينا مادلين تداعب خيال العيش المقبل من وقت إلى وقت ، برغم ما يعانى أهلها من متاعب وكروب

وكلام المؤلف فى تصوير عواطف الأبوّة والأمومة عند الفرنسيين غاية فى الصدق ، وهو يسوق كلامه على قلم الفتاة بأسلوب حزين ، يلائم الحياة فى ذلك البيت الحزين .

والواقع أن « عاطفة السّكن » قوية عند الدكتور طه إلى أبعد الحدود . والسكن هو الكلمة العربية التى تماثل الـ Foyer فى اللغة الفرنسية ، فهو حين يدور حول هذا المعنى يفصّله أجمل تفصيل ، وبلا تكلف ولا افتعال

ولم يكن بدٌّ من الحديث عن الوطنية الفرنسية لمهد الحرب الماضية ، فهل يُنشئ المؤلف خطبة على لسان تلك الفتاة ؟

يكفى أن يشير إلى أن تلك الأسرة ظهرت فيها ظاهرة من جنون ، وهى تطوُّع الأخ الأصغر للخدمة العسكرية قبل أن يبلغ سن الحرب ، فقد كان يقول :

« صُرع أحد أخوىَّ وجُرح الآخر ، وما ينبغى أن تخلو ميادين الحرب من أحدنا » . وهى عبارة فى غاية من القوة ، وقد ساقها المؤلف فى بساطة توهم أنه لا يعنى ما تنطوى عليه من مقاصد وأغراض .

وهنالك نظرية أخلاقية تعرض لها المؤلف فى عدة مواقف ، وهى النظرية الخاصة بمواجهة الحياة ، ومن رأى المؤلف أنه لا بدّ للأحياء من أن يعيشوا ، وأن اجترار الأحزان مرض يجب دفعه بلا إمهال

ولا يفوت المؤلف أن ينص على ما يقع من المضارّة بين الأخ والأخت ، ولا يفوته أن يجسِّم النفاق الذى يقع فى البيوت عند تبادل الاستغفال بين الجيل القديم والجيل الجديد

وأقول مرة ثانية إنى أريد تنبيه القراء إلى قيمة هذا الكتاب لأنه كُتب بطريقة يغلب عليها الرمز والإيماء ، وإن كان غاية فى الصراحة والوضوح ، عند من يساير المؤلف فى أشواطه الطوال

وهل فيمن قرأوا هذا الكتاب من تنبّه إلى نظرية دقيقة ساقها المؤلف فى أسطر معدودات بالصفحة الثامنة والستين ؟

فى تلك الأسطر يشير المؤلف إلى أن الحيوان المتوحش يحتلّ صدر الإنسان المتحضر ، ولم يفته إلا النص على أن الحضارة سلاح جديد يزيد التوحش ضراوة إلى ضراوة واستذآبا إلى استذآب

وهنالك صفحة عجيبة غريبة تذكّر بأدب أبى حيّان التوحيدى فى تشريح العواطف ، وهى الصفحة الخاصة بالشوائب التى تفسد الوداد ، ومن تلك الصفحة نعرف كيف جاز أن يتعرض الدكتور طه لتقلبات فى الودّات والصداقات يستفظعها مَنْ لا يعرف ما فُطِر عليه من توهج الإحساس

تلك الصفحة تفسر ما يقع فيه الدكتور طه من وقت إلى وقت ، فهو يقطع ما بينه وبين أصدقاء لا يجود بأمثالهم الزمان ، وهو قد يصل أقواماً لا يمتّون إلى روحه بسبب قريب أو بعيد ، ولعله أكثر الناس ابتلاء بالمخادعين والمرائين ، لأنهم أحرص على مراعاة الظواهر من المصافين والموافين ، والكاذب يسبق الصادق إلى امتلاك القلوب الخواضع لخوادع الوداد

وتلك الصفحة غاية فى القوة من الوجهة الأخلاقية ، فالجهل يصدنا عن مراعاة الواجب فى معاملة الأصدقاء ، فنتوهمهم يقبلون منا كل شىء ، ويغفرون لنا جميع الذنوب ، ولو عقلنا لأدركنا أن الصديق ينتظر أن يسمع منا ما يحب فى كل وقت ، ويرجو أن نرى سيئاته أشرف من الحسنات ، وأن نعدّه أعظم مخلوق جادت به على الأرض السماء

ومن يُسمع الصديق كلمة اللطف إذا بخلنا بها عليه ؟

وما حاجة الصديق إلينا إذا صارحناه بعيوبه كما نصارح الأعداء؟

آفة الصداقة أن نعاملها كما نعامل العداوة ، باسم الحرص على الشجاعة الأدبية ، مع أن للصداقة حقوقاً أيسرها التغاضى عن هفوات الصديق

ونحن فى الغالب نلاطف الأعداء ليصيروا أصدقاء ، ونتناسى حقوق الأصدقاء ، لأن ودهم مضمون ، ثم تكون النتيجة أن يعدّنا الأعداء من أهل الرياء ، وأن يعدنا الأصدقاء من أهل العقوق

والدكتور طه لا يلتفت إلى ما يفسد الصداقة عن عمد وإصرار ، لأنه أوضح من أن يحتاج إلى التفات ، وإنما يلتفت إلى الشوائب التى تصدر عن نبرات الصوت ، وحركات الجسم ، ولحظات الطرف ، وهى « أشياء يسيرة تُحسّ وتُلحظ ، ولكنها لا تكاد تثبُت للتصور والتعبير . هى أيسر من ذلك وأدق . هى تنفذ من أعماق النفوس إلى أعماق النفوس ، لا تكاد تمر على الألسنة ، ولا تكاد تستقر فى العقول ، ولا فى مظاهر الحس والشعور » . وهى من أجل ذلك مؤذية مهلكة شديدة الخطر على الحب والود ، وعلى ما بين الناس من صلات ، هى أشبه بهذه الجراثيم التى كانت تفتك بحياة الناس وتذيع فيهم ألوان الوباء

والموت دون أن يحس لهـا الناس وجوداً ، أو يستطيعوا منها احتياطاً . ولـكن العلم قد كشف هذه الجرائم ، وأخذ يعلّم الناس كيف يعرفونها وكيف يدرسونها وكيف يتقونها ... فمتى يستكشف العلم هذه الجرائم المعنوية التي تفسد الود وتفتك بالحب وتقطع أمتن ما يكون بين الناس من صلات ؟ »

وهذا كلامٌ نفيس جدًّا ، وهو غرة هذا الـكتاب النفيس

ثم تـكون المشكلة الأساسية ، وهي زعزعة الحب في قلوب الأزواج ، وفي هذه المشكلة يتحدث الدكتور على لسان مادلين حديث الخبير بدقائق هذه الشئون ، فيرينا أن عاطفة الحب تحتاج إلى رعاية موصولة ، وأن المرأة قد تفقد قلب زوجها حين تُشغل عنه بشاغل شريف مثل تربيب الأبناء

وأقول : إن لهذه المشكلة جوانب مختلفة ، فالذرية قد تقوّى الحب بين الزوجين ، وربما جاز القول بأنها تخلّد ذلك الحب ، ولـكن على شرط أن يَسلم الزوج من الفتن الخارجية ، وهي فتن لم ينج منها زوج مادلين

والحق كل الحق أن المرأة لا تُشغل عن زوجها بشيء ، وهي لا تحب أطفالها إلا لأنهم مظهر الصلة بالزوج ، فإذا استطاعوا أن يصدوها عنه بسببٍ قريب أو بعيد ، فهم لها أعداء

أما بعد ، فلقصة « الحب الضائع » ذيول يضيق عنها هذا الحديث ، وسيلمّ بها القارئ في أناة وهدوء ، فيدرك مقاصدها الصحاح ، ومن المؤكد أنه سيعترف بقيمة هذه القصة من الناحية الأساسية ، وهي تجسيم العُقد النفسية ، وقد تـكون هذه القصة فاتحة لفن جديد في أدب الدكتور طه حسين

فإن لم يكن بدٌّ من توجيه بعض المؤاخذات إلى المؤلف ، فأنا أوجه إليه مؤاخذتين اثنتين : الأولى لفظية والثانية معنوية :

أما المؤاخذة الأولى ، فأمرها هيّن ، وهي الخطأ في بعض الأفعال ، والتكلف في بعض التعابير ؛ فهو قد استعمل الفعل « آويت إلى ... » مرات كثيرة بهذه الصورة ، وذلك يشهد بأنه ليس غلطة مطبعية ، وإنمـا هو خطأ وقع فيه المؤلف ؛ والصواب « أويت » ، لأنه مجرد لا مزيد ... وهو قد أكثر من عبارة « ها أنا هذه » ، وهي عبارة ثقيلة لا تستحق غير الموت

أما المؤاخذة الثانية ، فهي خطيرة ، ولـكن كيف ؟

قصة « الحب الضائع » تسير في الطريق الذي يسميه الفرنسيون Roman à thèse ، فهي قصة تشرح نظرية أو نظريات ، والمؤلف نفسه حدثنا أن راوية الحديث ديكارتية العقل ، فهل كان الأمر كذلك ؟

الدكتور طه هو المنشئ الأول ، فهو المسئول عن خطأ مادلين في التشريح والتعليل ، ومادلين تنظر إلى المشكلات من جانب واحد ، مع أن لـكل مشكلة جوانب

قد يجيب بأنه يسوق الحديث على لسان امرأة ، والمرأة ترتكز عواطفها في ناحية واحدة ، فلا ترى ما عداها من النواحي ، ولو بلغت الغاية في التدقيق والاستقصاء

إن أجاب بهذا فسنقول : إنه أضاع فرصة النص على أن مادلين ضلّت سواء السبيل وهي تشرح ما تعرّضت له القصة من علل وأسباب ، وكان هذا النص سهلاً على المؤلف لو التفت إليه ، فهل يلتفت حين ينشئ قصة ثانية على هذا النحو من الإنشاء ؟

بقيت ملاحظة أخيرة ، وهي ملاحظة أراها على جانب من الأهمية ، وإن تمثلت في صورة جنسية ، ولا حياء في الأدب ولا في الدين :

في « دعاء الـكروان » جرى الحديث على لسان امرأة ، وفي « الحب الضائع » جرى الحديث على لسان امرأة ، فما هذا البدع في حياة رجل من أكابر الرجال ؟

وهل يخفى الدكتور طه في إيثار هذا الوضع المقلوب ؟

الرأي عندي أن يسير على السُّنة الطبيعية ، فيشرح في أقاصيصه أهواء الرجال ، ومتاعب الرجال ، وأن يترك أهواء النساء ومتاعب النساء لإحدى بنات حواء

ثم أما بعد ، فقد شغلت نفسي بالدكتور طه وكتابه سهرتين كاملتين ، فمن حقي عليه أن يراعي ما نبهته إليه ، وله مني خالص التحية وصادق الثناء

زكي مبارك

« أرواح وأشباح »

تحفـــة فنيـــة

للأستاذ محمد توحيد السلحدار بك

خلقها صاحبها الأستاذ على محمود طه الشاعر الملهم ، فسواها صنيعاً شائقاً يمتع الأدباء أفئدتهم وألبابهم بجماله ، ويكبرونه لطرافته وما فيه من أسرار الفن والشعر ... فما هى هذه الأسرار ؟

إن هذا الصنيع منظومة أنافت على أربعمائة بيت فى شأن يعنى الإنسانية بأسرها ، لأنه يتعلق بالفطرة البشرية ؛ استوحى الشاعر فيها أساطير الإغريق الشعرية ، وسيرة « آدم » و « حواء » ، ومعنى هبوطهما من الملأ الأعلى ، وخبرة الفنان فى حياة الإنسان ؛ وفاض شعره من نفس جياشة ومخيلة قادرة أرته أبطاله كأنهم أحياء يسمع أصواتهم ؛ وجادت قريحته فى تصويرهم ، حتى كان من سحر فنه أن جعل قراءه يرونهم ويسمعون حديثهم ، كما رآهم وسمعهم فى خياله

بهذه المميزات مجتمعة استحق الصنيع اسم ملحمة [1] ، وعظم شأنه فى الأدب العربى

ليست ملحمة حماسية ، بل هى قصة الروح والجسد فى محاورة موضوعها تجاذب الرجل والمرأة وأثر الغريزة فى الفن بينهما ؛ وهذا موضوع جدّي بعيد الغور ، أحسن معالجته شاعر مثقف

فما هى عناصر الشعر فى هذه الملحمة ؟ إنها أثمار المخيلة والشعور وهزة الإلهام ...

***

إن الشاعر تخيل الروح فى عالم الأرواح ، مجردة يقظى لفضيلتها الملائكية ؛ وتخيلها — على الأرض — ناعسة فى طيفها منذ أمّها وتضمّنها ضعيفاً تصوّنها فى الإنسان ...

وتصوّر أرواحاً نزيهة تتحادث فى الفن الرفيع بين الرجل والمرأة ، وفى الجمال والشهوات والأهواء ، وفى الخطيئة وتبعتها على الرجل هى أم على المرأة ؟

واختار لهذه المحادثة روح فنان شاعر حان بعثه فى الأرض ، وأرواح شخصيات من عهد الآلهة والفنانين الذين تصفهم أساطير الأولين ، ليدور الحديث بينها فى الموضوع على التبيّن من سيرة الإنسانية منذ نشأتها حتى اليوم ؛ وجعل رمزاً إلى القدرة سمّاه : « صوت السماء » ، ليهديها إلى حقيقة المقدور ؛ وفرض أن حرم النزاهة والطهر فى السماء مسرح فسيح الأرجاء ، يقع فيه ما تصوّر من انطلاق تلك الأرواح فى سحرها ، ومن حركاتها وإشاراتها ودلالات ملامحها فى محاورتها ، ومن مرور الفنان بها وهو فى صحبة ملك يجوب به أجواز السماء ، ومن اشتراك الثانى فى المحاورة ، ثم الأول إلى لحظة بعثه ...

ذلك هو الخيال الأصلى فى الملحمة ؛ أما فروعه وحواشيه ، فهى الخيالات البلاغية فى الأسلوب ، وقد زان الأصل والفرع من هذا الخيال ، وزاد مزيته أعلاق فكرية تتعلق بالغريزة والنفس والجمال وبالحياة الاجتماعية ، ولطائف أدبية كالإشارة إلى مانا وفنون هاواى ، وإلى خروج موسى ببنى إسرائيل من مصر ، وقصته فى أرض مدين

فبهذه مخيلة قادرة اقتطفت من معارف الشاعر ، وغيّرت ما كان بين المقتطف وغيره من أوضاع العلاقة والمناسبة ، وأنشأت بذلك معانى وصوراً ومشاهد مثالية ، أى لم توجد مجتمعة فى الحقيقة وإن عرفت أقسامها متفرقة ؛ وأحيت أبطالاً خياليين فكأنك تراهم فى متحدثهم ، وتداخلك حساسات وخوالج من محضرهم ؛ وأودعت الملحمة أثمار فروعها من الألمعية والبديهة وغيرها ... فمن الألمعية فى تشبيهات جديدة قوله :

على مذبح الحب من قلبها سراج يسبّح من لألاء

... ...

وتمشى الحياة على نوره وما نوره غير عين امرأة

أهلّ بقلب كفرخ القطا يرفرف تحت جناح القدر

هو المرح الشارد المستهام شرود الفراشة عند المساء

ومن الألمعيّة فى إدراك ما لا يُرى فى الشىء أول وهلة وهو على الحقيقة فيه :

هو الحب ؟ ... لا ... بل نداء الحياة

تلبيه أجسادنا الظامئة

ومن الألمعيّة فى توحيد المتضادين :

هنالك (فى الأرض) حيث تشبّ الحياة

وحيث الوجود جنين العدم

(١) كلمة استعملها المعربون أولا اسماً للون الأصلى الأوفر فى الأدب الأجنبى من هذا الفن

... ...

وحيث السعادة بنت الخيال ولذتها من معانى الألم

سلا مجده الضخم فى قبلة تذل وتسعد من ذاقها

ومن البديهة كلمة تاييس ، حين وصل الشاعر فى وصفه حواء إلى هذا البيت :

فيا لك من طفلة فذة ورحماك سيدة العالم !

وقالت بليتيس : يحاول بالشعر إغراءنا ...

هو الموقف الضنك ما يتقيه

فقالت تاييس على الفور : كما يتقى باشــق صائده

فجاءت بأبلغ ما يخطر للموافق ويناسب المقام .

أما الشعور فأثماره ما خامر الملحمة من الوجدانيات ؛ وهى عنصر أسلمى فى كنه الشعر كالخيال : لأن الحب والبغض ، واللذة والألم ، أمور توجد فى صميم الشهوات والأهواء والخوالج الإنسانية جميعاً ، أياً كان باعثها وكان الإسم الذى تسمى به ؛ والأصل أن خاصة التلذذ والتألم والحب والبغض ، وطلب كل جميل ونفع وخير ، وتجنب كل قبيح وضر وشر ، هى خاصة فى البشر أجمعين . ولذا فإن كل حسة تمر نفس إنسان ويصفها وصفاً صادقاً تجدلها صدى فى القلوب . وشاعرنا اللهيم صادق الوصف فى ملحمته . وحسبنا شاهداً وقع هذه الأبيات من وصفه حواء :

وكم ذكريات لها عذبة أعيش عليها وأحيا بها

. . . .

يسائلنى القلب عن أمرها وأسأله أنا عن سرها

ويعطفنى فى الهوى ضعفها وأنسى بأنى فى أسرها

. . . .

أحاول أفهمهـــا مرة فأعيا بهـا وبتفكيرها

ومن وصفه استنكار بليتيس فى غضبتها على الفنان :

تأثم بالفن حتى غوى وما الفن بالمرأة الخاطئة

. . . .

ألم ينعم الخلد من عطرها ألم يعبد الحسن فى زهرها ؟

ومن وصفه هوى الانتقام فى بليتيس إذ تقول :

أدله هـــذا الفتى . . . .

واغرس فى قلبه زهرة من الشر راوية نامية

. . . .

إذا استافها الرجل العبقرى تحول كالحيوان الوخم

تضج البـلاهة من حوله وينظـر كالصنم المبتسم

وإذا ما تضاعف نشاط الذهن والمخيلة ، وزادت يقظة الشعور حتى تناهى نشاطهما ويقظته معاً ، فذلك فوران النفس الشحوذ فى الشاعر الموهوب فوراناً يضطره إلى الإفضاء بما يخامرها ، فيتبعث منها الشعر ؛ وذلك هو شيطان الشاعر فى حسة تجليه ؛ وتلك هى الملكة أعظم ما تكون حرية وانطلاقاً ، وأرفع ما تكون سمواً ، وهى بعينها هزة الإلهام الذى ابتدع هذا الصنيع الباهر

ولقد كملت صفاته الشعرية بما عليه من مسحة عقلية ، لا من العقل الفلسفى الهادئ ، بل من العقل الذى جعل الملحمة مشابهة للحقيقة ، إذ خلت من التناقض فى مواقف أبطالها وفى نفوسهم الظاهرة أحوالها من كلامهم على ما شاءت لهم الفطرة والأقدار واستقام فى خيال الشاعر .

***

ومما زاد الملحمة مشابهة للحقيقة إتقان المحاورة بين أبطالها ، إتقاناً جعلها حية ، طبيعية ، شائقة ، فقد أبدى كل منهم رأيا وعرض حججه ، وفى كل من آرائهم شىء مقبول ، أو على ظاهر من الحق ؛ وكان كلامهم سؤالاً يستدعى جواباً ، أو قولاً يجلب اعتراضاً أو تحذيراً ؛ واستيقافاً يسلم صاحبه جدلاً ، أو يبدى تحفظاً ؛ وبياناً يحوز موافقة ، أو يثير دهشة أو إعجاباً ثم إن هذا الموضوع خرج فى وحدة سالمة من الاضطراب ومن النظام الرتيب ، إذ له مدخل شعرى لطيف الإشارة إلى الغرض منه ، ووسط يشرحه ، وخاتمة يحسن السكوت عليها ؛ وأجزاؤه مرتبة ترتيباً يوثق العلاقة بينها ، ويشد فيه بعضها بعضاً ، ويجمع بينها ارتباط قوى .

ومن صفات هذه الملحمة وضوح موضوعها لأن وقائعه مختارة بذوق سليم ، مسلسلة سلسلة طبيعية معقولة ، خالصة من كل تفصيل لا طائل وراءه ، ومن كل حادث أو موقف ليس يوافق شرح هذا الموضوع أو ليس بسبيله .

وزد أن الملحمة كلها شائقة جد شائقة بما بين أجزائها من تناسب موفق ، وبما فيها من إشارة — عن بصيرة وفى قصد — إلى الأسباب فى أقوال أبطالها وفى حركاتهم ، ومن تشويق إلى الوقوف على الحكم فى آرائهم الشائقة فى ذاتها ، وإن كانت لا تحول حيلولة دون تمكين البصير من حزره قبل الأوان ؛ وأيضاً أن عنصر الوجدانيات داخل فى المواضع الملائمة من الكلام المزدان — على اعتدال — بخواطر نيرة ، وعبارات أنيقة وإشارات بارعة . ومن إشارات :

الـــزكاة (*)

هى التأمين الاجتماعى ضد الفقر والجوع

للأستاذ عبد العليم رزق الدهشان

« إن الله فرض على أغنياء المسلمين فى أموالهم قدر الذى يسع فقراءهم ، ولن يجهد الفقراء إذا جاعوا وعروا إلا بما يصنع أغنياؤهم . ألا وإن الله يحاسبهم حساباً شديداً ويعذبهم عذاباً أليماً » (حديث)

(١) ماهو « التأمين الاجتماعى » ؟ (٢) أساسه (٣) الفرق بينه وبين الاعانة (٤) تطور فكرته واتساعها (٥) التأمين ضد البطالة (٦) الفكرة قديماً وحديثاً (٧) المشرع الاسلامى أول من حقق الفكرة بفرضه « الزكاة » (٨) مقارنة سريعة بين الزكاة وبين التأمينات الاجتماعية عامة (٩) حاجتنا اليوم لضريبة خاصة تفرض لصالح الفقير .

١ — « التأمين الاجتماعى » تعبير حديث يطلقه المتشرعون على نظام من التأمين يقصد به حماية « الجماعة » ضد أخطار الطبيعة والاقتصاد التى لا يد لها فيها ولا حيلة لها لدفعها : كالموت والشيخوخة والبطالة ... الخ . ويقصدون « بالجماعة » هنا مجموعة الأشخاص الذين اضطرتهم ظروفهم المادية إلى تكوين طبقة اجتماعية خاصة ؛ ويخصصونها عادة لطبقة « العمال » لأنها الطبقة التى لا تستطيع ـ لفقرها ـ أن تدرأ عن نفسها وطأة هذه الأخطار

٢ — وفكرة التأمين الاجتماعى هى فكرة التأمين العادى ، فأساس كليهما الأقساط الدورية التى تدفع لضمان التعويض عن خطر متوقع . غير أن التأمين الاجتماعى يمتاز عن التأمين العادى بأنه ليس تأمين فرد لمصلحته الخاصة ، ولكنه تأمين جماعة لصالح أفرادها . فهو مبنى على فكرة التضامن بين أفراد الأمة ، فيساهمون جميعاً — كل على قدر سعته — فى دفع أقساط هذا التأمين ، وتتولى الدولة جمعها منهم على شكل ضريبة أو رسم . فيصير التأمين بذلك التزاماً اجتماعياً عاماً كالخدمة العسكرية ، والتعليم الإلزامى ، والالتزامات الصحية وغيرها . وبهذا لا يتحمل المؤمن لمصلحته تكاليف التأمين الاجتماعى ، بل يتحملها أفراد الجماعة القادرون ، برغم عدم انتفاعهم بهذا التأمين

٣ — ويختلف التأمين الاجتماعى عن « الإعانة » فى أنه حق للعامل ، له أن يطالب به بمقتضى نصوص القانون ، دون أن يكون فى هذا مساس بكرامته أو امتهان لآدميته ، فى حين

(*) نشرت « المجلة الجديدة » لصاحبها الأستاذ سلامة موسى ، فى عددها الصادر فى ٢٨ أبريل سنة ٩٤٢ ما يلى :

« إننا لا ننتظر من أصحاب الثروات الكبرى أن يتنازلوا عن جانب من أرباحهم من تلقاء أنفسهم ، أو بحكم العواطف الانسانية النبيلة ، أو خضوعاً لاجبار أدبى نشىء مثل الزكاة . إنما يجب أن تفرض عليهم فرضاً الضرائب التصاعدية التى يقف وراءها القانون يعاقب من لا يؤديها . وهذا الحل مؤقت فقط . وهذه الضرائب هي الشكل الوحيد « للتأمينات الاجتماعية التى تفرضها الدول الحديثة الآن » ، أما الزكاة فنظام بال لم يعد يتفق مع مقتضيات اليوم . »

دمى الوهم سافو ولا تحقرى بليتيس معجزة الشاعر
فما نتقيه بحيّاتنا إذا هو ألقى عصا الساحر

ومنها :

رأى جسم « حواء » فاشتاقه فهاجت به النزوة المسكرة
... ...
سما جسمها وتأبّى عليه فجرّد فى وجهها خنجره

هذه ملحمة شائقة أيضاً بأسلوب من الفصاحة والبلاغة لاءم موضوعها ، وتلوّنت لهجته تبعاً لطبيعة ما تضمّن من خواطر وجدانيات ؛ وهو أسلوب محكم الصياغة دقيق ، إن أضيف إليه شىء — بغض النظر عن ميزان الشعر — أضعف المعنى فيه ، وإن حذف شىء منه أحدث الحذف غموضاً ؛ سليم من التصنع لخلوّه من مخالفة طبائع الأشياء بالغلو والإغراق فى المعنى ، أو بالمجازات والاستعارات البعيدة ، أو بفرط المحسنات ، أو بكل أولئك ؛ أسلوب واضح من ذلك الوضوح الذى يكون فى طبيعة ذهن المنشئ قبل أن يكون فى معانيه ، ويكون فى معانيه قبل أن يكون فى كلماته وكلمه ، منسجم فى ائتلاف شامل وجرس مطرب

ذلك هو الشعر المتدفق من ملكات طليقة حرّة ، ومن عقلية مثقفة ، فى أسلوب عربى مبين ، عليه طابع من الوضوح والأناقة ، معتاد من صاحبه ؛ وليس كشعر يتقطّر من ملكات طغت عليها الحافظة ، ويقال فى موضوعات لم يؤثر شىء منها فى نفس الناظم ، وإن كثرت فى النظم كلمات ومعان يغلب وجودها فى الشعر

وتلك أسرار الشعر والجمال والفن الرفيع في كتاب : « أرواح وأشباح » : الذى جمع من المميزات ما جعله تحفة فنية بديعة ضُمّت إلى كنز الأدب العربى الخالد ، وبرهاناً على فضل المجدد والتجديد .

محمد توفيق السلمان

أن الإعانة ليست إلا هبة لا حق له فيها ؛ فهى صدقة تمنح أو تمنع بحسب رغبة المحسن ، ولو كان هذا المحسن هو الدولة

٤ — لهذا ... أخذت التشريعات الحديثة بفكرة التأمين الاجتماعى ، وطبقتها على كثير من أخطار النشاط الاقتصادى . وكان أول هذه المخاطر عناية منها « مخاطر الحرفة » ، فأوجبت نوعاً من التأمين يقوم بدفع أقساطه أرباب الأعمال والدولة لصالح العمال ضد « حوادث العمل »

ثم اتسعت فكرة التأمين الاجتماعى ، وشملت نواحى أخرى كثيرة ، فظهر تأمين ضد « المرض » يعطى العامل الحق فى نفقات العلاج وتعويضه عما يخسره مدة مرضه ؛ وتأمين ضد « العجز » يعطيه الحق فى التعويض عما يفقده من قوته أثناء العمل ، وتأمين لمصلحة « الأرامل والأيتام » ضد وفاة عائلهم ، وتأمين ضد « الشيخوخة » يعطى لمن بلغ سناً معينة إيراداً سنوياً

٥ — ولم تقف فكرة التأمين الاجتماعى عند هذا الحد ، بل اتسعت غايتها واتجهت حديثاً نحو نوع هام من التأمين ، هو التأمين ضد « البطالة » ذلك الخطر الاقتصادى الذى يلحق بالعامل فيحرمه عمله ، مصدر قوته ، وعماد حياته ، رغماً عنه ، وبدون خطأ منه . . . فليس من العدل ولا من المنطق أن يوجد نظام للتأمين ضد أخطار وقتيــة ، كالإصابة والمرض ، دون أن يفرض نظام للتأمين ضد هذا الخطر الفادح . وخاصة بعد ظهور النظريات الإدارية الحديثة التى جهرت بأن وظيفة الحكومات لم تعد قاصرة على الدفاع عن البلاد وضبط الأمن فى داخلها ، وإنما عليها — إلى جانب هذا — واجب هامٌ هو : « الإسعاف الاجتماعى » لحماية الشعب من التفكك والانهيار . و « البطالة » من أهم عوامل الاضطراب الاجتماعى ، لأنها تخلق فى نفوس العمال وفى الأمة بأسرها روح عدم استقرار ، كما أنها تعطل قوى الدولة المنتجة وتزيد فيها نسبة الجرائم

لهـذا — ورغم الاعتراضات الكثيرة التى ووجه بها هذا النوع الجديد من التأمين — اضطر بعض الدول — أخيراً — إلى الأخذ به حماية للعامل المتعطل من مفاسد الفقر والجوع ، وحماية لكيانها من انتشار الأفكار المتطرفة الهدامة . وكانت انجلترة أسبقها جميعاً فى هذا المضمار ، ففرضته بقانون ١٦ ديسمبر ١٩١١ بينما لم تأخذ به ألمانيا إلا عام ١٩٢٧ . وقد قدر ما دفعته انجلترة على هذا النوع من التأمين وحده فى مدة عشر سنوات من ١٩٢٠ إلى ١٩٣٠ بمبلغ ٦٤٠ مليوناً من الجنيهات .

والتأمين ضد « البطالة » هو أسمى ما وصلت إليه فكرة التأمينات الاجتماعية من الرقى ؛ وتحمل مزاياه — التى يجنيها العامل والدولة معاً — على الاعتقاد بوجوب تعميمه بين كافة أفراد الأمة ممن هم فى حاجة إليه . على أن هذا الاعتقاد لا يعدو — حتى الوقت الحاضر — طور الفكر والخيال عند الدول التى أخذت بهذا النوع من التأمين ، فما زالت هذه الدول تقصره على بعض طوائف العمال فى بعض الصناعات ، ولم تجرؤ أكثر الحكومات مشايعة للعمال على تعميمه لأن الحكومات تراه عبئاً على الميزانية ، وإثقالاً لكاهل دافعى الضرائب من الأغنياء ...

٦ — دع ذلك . . . ففكرة تعميم هذا النظام التى تشغل الآن عقول الدول ، كانت قد شغلت قبلهم منذ أقدم العصور ، عقول الاقتصاديين والفلاسفة .

ففكر « أرسطو » فى وجوب التعاون بين أفراد الشعب أغنياء وفقراء فى نظريته : « النقود لا تلد النقود » . وتكلم « سان توما داكان » على وجوب التعاون بين الطرفين على إيجاد معيشة هادئة ، فى نظريته « الثمن العادل » وأخرج « لا سال » نظريته عن « الأجر الحديدى » قاصداً بها هذا المعنى . وتعتبر أفكار « سيسموندى » أساساً لفكرة التأمين الاجتماعى عند ما تكلم عن وجوب تدخل الدولة لحماية العمال من المرض والبطالة . كما يعتبر « ليلاى » صاحب مذهب الإصلاح الاجتماعى ، لأنه فكر تفكيراً جدياً فى وجوب بناء الجماعة على أساس من الأخلاق والدين ، لا على المادة وحدها ، وقال بأن وظيفة الدولة بالنسبة لأفرادها ، ووظيفة رب العمل بالنسبة لعماله ، يجب أن تكون هى وظيفة رئيس العائلة بالنسبة لأفراد أسرته . كذلك نادى « البرت دى من » بوجوب الاحتفاظ بكرامة الإنسان ، فلا يصح اعتباره آلة يركن إليها وقت الحاجة فقط . وقال « ليون بورجوا » بوجوب التضامن بين أفراد الدولة بناء على نظريته « شبه العقد » ؛

فالإنسان يولد مديناً للمجتمع بعمل الأجيال السابقة ، ووفاء دينه لا يكون إلا بمساعدته بقية أفراد الأمة . وظهرت حديثاً نظرية « الفائض الاجتماعي » لـ « أفتاليون » وفيها يقول بوجوب تدخل الدولة لتفرض على الأغنياء القيام بالتضحية لصالح الفقراء ، لا على سبيل الصدقة أو الإعانة ، ولكن لأن الملكية الخاصة نوع من الامتياز تمنحه الهيئة الاجتماعية للأفراد بناء على فكرة المصلحة العامة . وعند « برناردشو » في كتابه « رأس المال » أن الذهب المودع في المصارف إنما هو قيمة معادلة لما زاد على حاجة الغني من أرغفة الخبز وقطع الجبن واللحم ، وعليه إعادة بعضها لأخيه الفقير ليستعين بها على القيام بالعمل المنتج .

٧ — هذه هي فكرة التأمين الاجتماعي وما بلغته من رقي ، وتلك هي أحلام الفلاسفة والاقتصاديين عنها ؛ فهل جحدها الشرع الإسلامي أو وقف منها موقف العاجز ؟ ! . . .

الحق الذي لا مراء فيه أن الشرع عند ما فرض الزكاة ركناً من أركان الإسلام الخمسة ، منذ ألف وثلاثمائة وستين عاماً قد حقق بها أحلام هؤلاء الفلاسفة ، وأوجد في حيز الإمكان والعمل ما عجزت عنه — حتى اليوم — أحدث الحكومات . بل إنه قد سما بالفكرة إلى درجة التقديس ، وأنزلها منزل العقيدة والإيمان ، وذكرها مقرونة بالصلاة في اثنتين وثمانين آية من القرآن ، لجمل إعطاء الفقير والبائس والمحروم ، ما يحتاجون إليه من غذاء وكساء ومأوى ... عبادة لله ...

٨ — ولا شك أن « الزكاة » تأمين اجتماعي عام إجباري ضد الفقر والجوع :

(ا) فهي « تأمين » : لأنها مبنية على فكرة دفع أقساط حولية ، لضمان التعويض عن خطر متوقع ، أو واقع هو الفقر .

(ب) وهي تأمين « اجتماعي » : لأنها مبنية على فكرة التضامن بين أفراد الأمة ، فيساهم الأغنياء — كل بحسب ثروته — في دفع أقساطها لصالح الفقراء .

وقد حدد الشرع فيصلاً بين الغنى والفقر بأشياء خمسة : منزل للسكنى ، وملابس عادية ضرورية ، وغذاء يوم كامل ؛ وقال البعض شهراً : ودابة للركوب ، وسلاح للجهاد ... فمن زاد ماله على هذه الخمسة فهو غني تجب عليه الزكاة فيما زاد ، ومن نقص ماله عنها ، فهو فقير تجب له الزكاة

(ج) وهي تأمين « عام » : لأنها لم تفرض لصالح فئة معينة أو طبقة معينة ، ولكنها فرضت لصالح كل شخص اضطرته الظروف فأحوجته ، سواء أكان عاملاً أم غير عامل .

(د) وهي تأمين « إجباري » : لأنها واجب محتم على الأغنياء لصالح الفقراء ، وعلى الحكومة أن تتقاضاها طوعاً أو كرهاً ، حتى قال عنها الخليفة الأول « أبو بكر » : (والله لو منعوني عقال بعير كانوا يؤدونه لرسول الله لقاتلتهم عليه) ؛ وقد قاتلهم فعلاً ...

وبهذا تمتاز عن التأمينات الاجتماعية الحديثة التي بقيت اختيارية في كثير من الدول كفرنسا ... ! !

(هـ) وهي — أخيراً — تأمين ضد « الفقر والجوع » : فهي لا تقتصر على نوع معين : كالإصابة ، أو المرض ، أو العجز ، أو الشيخوخة ؛ ولكنها تشمل هذا جميعاً ، كما تشمل « البطالة » كسبب أساسي للفقر والجوع ، بل وتمتد إلى الأخطار الطارئة ، حتى تشمل من خانته الظروف ، فأصبحت ثروته مثقلة بالديون !! ومن انقطعت به الطريق أثناء السفر فلم يجد ما يعينه على بلوغ الغاية أو الرجوع . . .

٩ — هذه هي « الزكاة » : تأمين الإسلام ضد الفقر والجوع ، وركن من أركانه الخمسة ، فهل فكر فيها ولاة الأمور — في دولة دينها الرسمي هو الإسلام — كحل حاسم لما يعانيه الشعب الآن من عنت وضيق وحرمان ؟ أو هل فكر فيها ولاة الأمور ، لا على أنها زكاة ، فليست العبرة بالأسماء ، ولكن بالمسميات ، بل على أنها قانون يجب أن يُفرض لصالح الفقير ، كما فرض في بلاد العالم المتمدينة التي تعمل حكوماتها لصالح الشعب ، لا لصالح طبقة المترفين ؟ !

نذكر أنه في أواخر شهر مارس من العام الماضي ، وجه أحد النواب سؤالاً إلى رئيس الوزراء عن « إلزام الأغنياء بدفع زكاة أموالهم ... » ؛ فأجابه دولة سري باشا بأن : « الحكومة ترى أن نظام الضرائب المتبع في مصر لا يخرج عن أن يكون صورة من صور الزكاة ... » ! ! وقد قابل النواب هذه السؤال بضجة ، اختلط فيها الضحك بالاحتجاج ! ! (هكذا) : الصفحة

الأولى من (أهرام) أول أبريل سنة ١٩٤١

أما ضحك نواب الأمة على هـذا السؤال فإنما يذكرنا بقول المتنبي :

وكم ذا بمصر من المضحكات ولكنه ضحك كالبكا

وأما نظام الضرائب المتبع فليس صورة من صور الزكاة في شيء . فهذه التي تجبى ، لا حق للفقير فيها ، ولكنه حق الدولة تتقاضاه لتصرف منه على شئونها ... ولا يوجد لصالح الفقير ، في مصر ، قانون ينظم له إعانة أو يفرض له حقاً . . . بل على العكس يعتبر القانون طالب الإعانة متسولاً ، والمتعطل ومن لا مأوى له متشرداً ومشبوهاً ، ولا جزاء ولا صلاح لهؤلاء إلا السجن ! وإعانة الحكومة — إن وجدت — فهي اختيارية ، ويقتصر أكثرها على مكافحة الأمراض بإنشاء المستشفيات . فليس للفقير – في هذه الدولة أيضاً – أن يرغم الدولة على أن تبني له مستشفى !

هذا . . . في حين أن « الزكاة » هي « تمليك مال معلوم لشخص معلوم » ذلك لأنها « تأمين » لا يصرف إلا للمؤمن له فحسب ، أي للفقير . وقد قال أبو حنيفة : « لا يجوز أن تصرف الزكاة في بناء مسجد أو مدرسة أو في حج أو جهاد أو في إصلاح طرق أو سقاية أو قنطرة ، أو نحو ذلك من تكفين ميت ... الخ وكل ما ليس فيه تمليك لمستحق الزكاة » . ذلك لأن التمليك ركن من أركانها ...

فما أوسع الفرق إذن بين « الزكاة » وبين الضرائب الحالية في مصر ! !

***

وبعد ... لقد سمعنا ، أخيراً ، رئيس الحكومة يتحدث عن « العدل الاجتماعي » ويقول : « إن مصر ملك مشاع لجميع المصريين » و « أن هناك حداً أدنى لمطالب الحياة يجب على المضطلعين بتبعات الحكم أن يوفروه للفقراء ... »

وسمعنا من مدير الجمعية الزراعية — في الاجتماع الزراعي — أنه يعمل شخصيًّا في مزارعه الخاصة على أساس من الإصلاح الاشتراكي مستلهماً في ذلك أحكام القرآن الكريم ؛ كما سمعنا مدير التفتيش الزراعي يتساءل قائلاً : « لماذا لا نسن قانوناً يحمي العامل عند الضعف أو الشيخوخة ، كما يحمي من يتركهم بعده من ذرية ضعاف ... ؟ ! »

سمعنا هذا إلى جانب ما سمعناه من صيحات دعاة الإصلاح ، ومنهم الدكتور الهراوي الذي اقترح لعلاج مشكلة الفقر في مصر فرض نظام التأمين الاجتماعي (! !) الذي فرض في أوروبا منذ سنة ١٨٨٠

هل معنى هذا الاتجاه الحديث أن النور بدأ يتسرب إلى قلوبنا وأن الإيمان سيصل حتماً إلى ضمائرنا ... وإننا سنؤمن ... قريباً بما آمن به الأوائل منا ، والمحدثون في أوروبا وأمريكا ، من أن الله قد فرض على الأغنياء في أموالهم قدر الذي يسع الفقراء ... وأنه لن يجهد الفقراء إذا جاعوا وعروا إلا بما يصنع الأغنياء ؟ ! !

عبد العليم رشدي الدهشان
المحامي

على هامش كتاب عبقرية محمد

في مجلس الأستاذ

« أبي الوفاء الشرقاوي »

[مهداة إلى الأستاذ الكبير «عباس محمود العقاد»]

للأستاذ محمد حسنين مخلوف

آذنت الشمس بالمغيب ونحن في حضرة الأستاذ أبي الوفاء الشرقاوي يحدثنا فننعم بسحر البيان ، وعذوبة النغم الموسيقي ينبعث من قلبه المطمئن ، وينتقل في أبراج الفكر كما تجرى الشمس في مسارها المقدر منذ الأزل وإلى الأبد ، رتيبة الحركة ، رصينة الخطوة ، فيبعث في القلوب حرارة الإيمان ، ويهبها نفحة من سر الوجود ، ويضفي عليها من نعيم الأمل أشعة مضيئة قوية . وأشرقت نفسه العالية ، وانطلق لسانه الفصيح ، وضاء جبينه الأسمر العريض ، بنور العقل القوى النادر ، وراح يترسل ويتبسط وهو يمد يده لِلصَّفِيِّ الحبيب[1] يتناول الكتاب الجديد[2] ، ودار الحديث حول المؤلف الموهوب صاحب القلم الجبار ، عدة العقل الشرقي وذخره في ميدان المنطق والبيان .

قلت : لقد كان دعاء النبي صلى الله عليه وسلم : « اللهم أعز الإسلام بأحد العمرين » وإن لهذا الكتاب في النفس فرحة ، كفرح المسلمين بعمر بن الخطاب ...

قال الإمام : — بعض هذا . ولنجعل كتابه فيصلاً — أرأيتم قصة شيخ جليل كان يرشد ويعلم ، وكان له تلاميذ ومريدون ، وكان من أحبهم إليه شاب صاحب علم وقلم ، وفلسفة وبلاغة ، كتب في قصة آدم عليه السلام رسالة لطيفة ، حتى إذا أتمها مضى بها إلى الشيخ يستأذنه في قراءتها ، فأذن له ... وجلس الشيخ يسمع والمؤلف يقرأ ... وكانت العبارة عالية ، والأسلوب خلاباً . ومضت آيات الإعجاب الشديد تتدفق من فم الشيخ عند كل مقطع . فهو لا يخفي سروره ولا يكتم طربه من قوة السبك وإشراق الديباجة ، ويهز رأسه ويدق كفاً بأخرى وهو يقول : « الله الله يا شيخ على » وكان هذا اسم المؤلف « إن من البيان لسحراً يا شيخ على » « هكذا العلم يا شيخ على » واتصلت حلقة الإعجاب وتدفق الشيخ على يتابع فصول الرسالة تلاوة حتى جاء ذكر الشجرة والثمرة ... فوصف الأمر بأنه معصية من آدم عليه السلام — وكان هذا يخالف ما يراه الشيخ الجليل — فإذا به يستمر في هز رأسه هكذا وفي دق كفيه هكذا ويصيح : « كفرت يا على »

وطوى الشاب رسالته وعاد بها إلى حيث لا يعرف الرواة مصيرها ...

* * *

وقام الإمام من المجلس وبقينا نحن لنقضى السهرة ، وكتاب العقاد سميرنا المؤنس ، نستروح نسمات الروح الأمين من ثنايا السطور والكلمات . وقد تحلقنا حول الشعلة الوهاجة المنبعثة من « عبقرية محمد » عليه السلام .

وايم الحق لقد كانت براعة العقاد بما صورت من عظمة العبقرية المحمدية في بلاغة معجزة ، ومنطق قوى ، وعلم غزير . تأخذ بمجامع القلوب وتتكشف عن شخصيته الفذة

* * *

ولما كنا من غدنا لقينا الامام في مجلسه وقد عاد يحنو على «عبقرية محمد» عليه السلام وتبدت في وجهه الوسيم تباشير الرضا . وعدنا نصل حديث الأمس فقلنا : وكيف حال صاحبنا ؟ !

قال الامام : لقد جاوز الشجرة والثمرة ... وإذا كان للقصة أن تعود « فالله الله يا عقاد ! »

قلنا : لقد جعل المؤلف فساد المجتمع والبيئة والخلق وطغيان الشهوات واستشراء الضلال وانحلال الوشائج ، كل أولئك إلى لهفة العقول على مخرج من ظلام الجاهلية وانحطاط الوثنية وشعوذة الكهان ... مدعاة لتوقع رسالة نبي ، أو هي إرهاص بمقدمه ..،

قال الإمام : إنه لحق . وإنه لنظر سديد ومنطق سليم . كان التوفيق رائد العقاد في تصويره وعرضه . وإنه ليحاصر شرود

(١) هو الشاعر الصدق الأديب الشيخ حسن الغزالي

(٢) كتاب عبقرية محمد للأستاذ عباس العقاد

العقل بقوة الحجة ، ويأخذ عليه المسالك ببراعة خلابة ، كمهندس عبقري يوافيه السيل بالماء العمم فلايزال به يجمعه ويركزه ويشق له المجرى العميق المستقيم ، فيسيطر عليه ويحقق آية الله في إرساله . لقد بلغ المؤلف هنا غاية الروعة العقلية ، وذروة القوة المنطقية

قلنا : أو نقيس فساد الماضي بفساد الحاضر ؟ وضلال العقل الوثني الذي كان يعبد الحجر والحيوان ويهيم في فيافي الظلام بين شهوة وقوة وفتنة .. بضلال العقل الوثني اليوم الذي يقدس الشهوة، ويتعبد بالرذيلة ، ويهيم في فيافي الظلام بين مادية وقسوة وفتنة ؟!

قال الإمام : إذا أغفلنا الفارق الجوهري بين الحالين جاز لنا أن نعقد القياس بينهما ... ولكن إذا كانت البصيرة مشرقة والحاجة ريئة والفهم مستقيما لم يقع هذا ... فهم في الماضي كانوا في حيرة مرهقة ... مرضى ينقصهم طبيب ودواء ؛ ولكنهم اليوم مرضى لديهم الطبيب والدواء . وإنما ينقصهم عقل رشيد وإدراك سليم

قلنا : وهل لنا أن نسأل : « وأين النبي المنتظر ؟! »

قال الإمام : كيف السؤال ؟! عند ما كان النهر يجرى دافقاً سيالاً يحمل الخصب والنماء ، تركوه ينحدر إلى البحر ويتلاشى بين أمواجه . فلما تكشفت عنهم غاشية الجهل ، واستيقظت فطرة الإدراك ، عرفوا نظام الري والزراعة ؛ ولما تدرجت فطرة الإدراك في مراقي الكمال عرفوا كيف يستغلون مساقط المياه في توليد قوة الكهرباء ؛ فاتسعت آفاق النفع وتعددت صوره وأشكاله . فإذا جئنا اليوم لنهرنا هذا — وأشار إلى النيل — وأردنا أن نفيد منه كما أفاد المتحضرون من أنهارهم ، ترانا نبحث عن المخترع الذي يجرى التجارب ، ويفني العمر ليبتكر لنا نظام توليد الكهرباء من الماء ؟! أم ترانا نعمد إلى ما وصلوا إليه هناك في الغرب من نتائج في هذا السبيل ؟!

قلنا : إذا كتب لنا التوفيق فنحن نطبق ما علمناه منهم

قال الإمام : كذلك أمر الرسالة المحمدية ... كانت البشرية في فساد يتطلب علاجاً ... فجاءت نبوة محمد صلى الله عليه وسلم علاجاً ، وجاءت رسالته دواء ، فشرعت نظاماً وحققت نفعاً ، وقررت للعمران دستوراً مكيناً ، وأضاءت الشعلة المقدسة الباقية على الزمان ، وتركتها في أمة الإسلام سراجاً منيراً ، ونظاماً قويماً ، تسعد ما استضاءت بنورها ، وتمسكت بعروتها ؛ وتشقى ما بعدت عنها وجاوزت حدودها . وظلت هي على الدهر وهاجة النور خالدة الضياء ... فإذا فسد أمر البشرية اليوم واختل نظامها وعادت إلى وثنية منحطة ، وضلت في ظلام الرذيلة والشهوة والقسوة ... لم تكن في حاجة إلى نبي جديد ... بل في حاجة إلى عقل كهذا — ولوح بالكتاب — يعود بالناس إلى حيث يجدون الطبيب والدواء . وإلى ذهن خصيب موهوب يحسن مخاطبة العقول ، وإلى رأس يحسن الفهم والتقدير ويملك البيان بمثل هذه الروعة في « عبقرية محمد » ... نبي جديد ؟! لعمر الحق أتسألون جادين أم هازلين ؟!

قلنا : معاذ الجلال في مجلس الإمام ! إنما هي قولة أرسلها قلم في إحدى المجلات ...

قال الإمام : خلوا عنكم هذا ... وخذوا فيما أنتم بسبيله من هذا الجد الرصين . فإنما أنتم بصدد « عبقرية محمد » صلى الله عليه وسلم يصورها لكم « عباس محمود العقاد »

ونهض الإمام من مجلسه فقد آذنت صلاة العشاء

(نجع حمادي) (لها بقية) **محمد حسنين مخلوف**

حكمت محكمة المنوفية العسكرية في الجنحة ٣٠٢ سنة ١٩٤١ بحبس رتيبة عمارة يوسف من ميت خاقان مركز شبين الكوم عشرين يوماً بالشغل لبيعها ذرة بسعر أزيد من التسعيرة

بعض ما نحب وما نكره

الأستاذ حسين الظريفي

لكل منا ما يحب وما يكره من الأشياء والأشخاص لغير علة ظاهرة لديه . وقد تمتلئ النفس بهذا الشعور إلى حد يبعث فيها الرغبة بالبحث عن العلة ، فلا يكاد يجد لها وجهاً تحمل عليه ، ويظل يحمل فى طيات نفسه ما تنفعل به من الحب أو الكره لهذا أو ذاك ، وهو فى حيرة من أمر ما يملك عليه وعيه وما وراء وعيه من دفائن الشعور .

ولا يقف الشعور عند حد امتلاء النفس به ، وإنما قد يفيض على اللسان ويظهر بأعمال الجوارح ، فتندفع بقواه المجهولة ، إلى استحسان أو استهجان ما لولاه لما بدا لنا رأى فيه . وقد نصدع أو ندع لمجرد إشباع تلك العاطفة العمياء ، فتحدث لنا من المشاكل ما نحن فى غنى عنه

ويظل أحدنا طول الحياة ، وهو رهين حبه لهذا أو كرهه لذاك ، وما حبه وكرهه إلا وليد نظرة عابرة ، هى أجدر بأن تولد وتموت ولا تعقب . وقد يحاول الخلاص من هذا الشعور الخاص ولا يجد السبيل إليه

وقد يكون لهذا الشعور من الأثر فى سلوكنا ما نظل رازحين تحت أعبائه مدى الحياة ، فتسوء علاقتنا بهذا ، لا لشيء إلا لأن أول نظرة ألقيت عليه كانت وحياً بالنفرة منه . وقد يكون من الخير لنا أن نصل به ما انقطع ، ولكن ذلك الشعور الغامض يأبى إلا أن يرى الشر فيه ، وقد تكثر مظاهر هذا الشعور فى ناحيتيه الإيجابية والسلبية ، فتزداد به متاعبنا فى الحياة ، ونريد الخلاص ولات حين خلاص . ذلك لأن فيما وراء هذا الشعور باعثاً تطاول عليه الزمن ومحاه من الذاكرة ، ولكنه بقى حياً فيما وراء الوعى ، ولا يكاد يجد فرصة الظهور حتى ينساب إلى مجرى الشعور ويوقع أثره الخاص .

ويخطئ أولئك الذين يعللون هذا الانفعال بفعل الغريزة ، فليس فى الأمر شيء مما يتصل بالفطرة ، وإنما هو من فعل التجارب الماضية . تلك التى حدثت لنا فى فجر الحياة فأحدثت فى نفوسنا هذا الانبساط أو الانقباض . ثم جللها الزمن برداء الصفاء من ساحة العقل الشاعر فانحدرت إلى ما وراءه واستقرت فى قاع العقل الباطن حية فتية ولكنها لا تهز النفس إلا بيد ذات قفاز ، ولا تظهر إلا بوجه مستعار . وذلك هو موضع الخطأ الذى وقع فيه أولئك الذين قالوا بأن هذا الحب أو الكره وليد الفطرة أو الغريزة وأنه لا يمكن أن يعلل بشيء آخر

ولا ريب فى أن تجارب الماضى من الكثرة بحيث لا يمكن أن تعد أو تحد ، وهى بالقياس إلى هذه الكثرة تحدث فى نفوسنا مظاهر الانفعال بالسرور أو خلافه ، ما قد يكون له الأثر البالغ فى أسلوب تفكيرنا وفى اتجاه إرادتنا فى الحياة . غير أننا مما لا ريب فيه أيضاً لا نقتصر فى نفوسنا على جذوة هذا الحب أو الكره الذى يبعثه ما جوزينا به على تجاربنا الماضية من خير أو شر ، فان لنا من الحب ما هو ربيب رفقة وتصاف ، وما هو وليد تصافح فى الصالح ، وان من الكره ما تنشئه تجربة غير ذات علاقة بتجربة بعيدة

هنالك أمر له خطره فى تحليل هذه الظاهرة النفسية ، هو أن عامل انبعاث هذه الظاهرة ، وأعنى به الحدث الماضي الذى ارتبطت به وانبعثت عنه ، قد يظل كامناً وراء حاجز من الزمن فلا تمتد يد الذاكرة إليه ، ولكنه لا يندر أن يبعث أحدنا فى عامل هذا الشعور الغامض فيقع على مصدره فى تجربة ماضية شبيهة بهذه التجربة الجديدة ، ويرجع وملؤه الاقتناع بأن رابطة التناظر كانت علة هذا الشعور الذى امتلأت به النفس بعد أول نظرة ألقتها العين . فإذا كان فى المنفعل بهذا الشعور الجديد المفاجئ من قوة التذكر وبعد النفوذ إلى ما وراء الشعور ، ما يمكن به الوصول إلى موضع التجربة الماضية من قاع النفس ، وأخرجها إلى عقله الواعى ، فقد أمكن له التغلب على عاطفة حبه أو كرهه الهوجاء ، واستطاع أن ينظر إلى الشيء بنظرة حرة مستقلة ، وأن يوليه ما يستحقه من رغبة فيه أو ميل عنه . وبتحديد موقفنا الجديد

من الأشياء والأشخاص نريح أنفسنا من كثير من المتاعب

هنالك أمثلة كثيرة مما نحب متأثرين بالماضي الذي أحييناه وبالتجارب السارة التي خلت فيه. فنحن نحب الربع الذي وهبناه طفولتنا ومنحناه أيام صبانا، ونحب المنزل الذي عرفناه وألفناه، وقد تتطور بنا الحياة فننتقل إلى ربوع جديدة وديار جديدة هي أمثل وأكمل من تلك التي تركنا عليها أيام الشباب، ولكنا نظل محتفظين لأرق عواطف الحب والولاء لذلك الوطن الأول. لأننا نرى فيه ظل ذلك الصبا الذي خلعناه، ولأنه يذكرنا بما كان لنا فيه من تجارب سارة. فكأنما نحن وإياه مزيج واحد

كذلك نحن نحب رفيق صبانا، لأن لصحبته ارتباطاً بكثير من تجاربنا السارة الماضية؛ فإذا نحن لازمناه بعد دور الشباب، كانت ملازمتنا إياه عاملاً في بعث كثير من صور الماضي الذي خلا... تلك الصور التي أحييناها بغفلات الشباب وملأناها بمسراته... فإذا هي انبعثت — ولو في الذاكرة — من جديد، كان في انبعاثها إعادة لذلك الشعور الذي رافقها أول مرة... وفي ذلك رجوع بالنفس إلى زمن الصبا عن طريق إثارة ما وعاه.

ونحن نحب أيضاً قراءة الكتب التي سبق أن قرأناها في فجر حياتنا وفي أيام دراستنا، لا لأنها من المعنى والمبنى ما تستحق عليه الإعادة، ولكن لأنها ترتبط في الذاكرة بسلسلة ما حدث لنا في شبابنا من الحوادث السارة، بحيث يصح الادعاء بأننا قد ننسى لحظتنا الحاضرة لنعود إلى الماضي ونحيا فيه، فنستمتع بذات اللذة التي تمتعنا بها لأول مرة، ونحيي نفس الشعور الذي أحييناه في ذلك الماضي البعيد

إن هذه الظاهرة النفسية — ولا ريب — تثبت لنا بقاء ما يحدث لنا في أيام الحياة؛ فالتجربة لا تفنى وإن تكن قد تنسى مهما ثقلت عليها وطأة الزمن في روحاته وغدواته، وإنما تنزوي في ركن قصي من أركان باطن العقل، حتى إذا حدث ما يرتبط وإياها برباط من التناظر، تحركت وهي في قاع النفس، ومدت يدها إلى رفيقها الجديد، فأوحت له بما عندها من معنى، وأحدثت في نفس صاحبه ما تفرضه عليه من شعور خاص

تلك هي العلة في أنا قد أحببنا هذا لأول لقاء، وأنا قد كرهنا ذلك بعد أول نظرة؛ فما ذلك الحب وهذا الكره إلا وليد تجربة سارة وأخرى غير سارة. فقد يكون وجه من أوليناه الحب شبيهاً بوجه رفيق لنا سبق أن أحببناه، وكان هذا علة في هذا الحب الجديد. وقد يكون صوت من كرهناه مضارعاً لصوت مربية لنا غير محبوبة، وكانت هذه المضارعة في الصوت باعثاً على نشوء كرهنا الحادث

إن في نفس كل منا كثيراً من التجارب السارة والمؤلمة، وهي تحدث في نفوسنا من المشاعر ما يتفق وإياها في جليل أو قليل، فنحب ونكره لعوامل دفينة في طيات النفس، وقد تبقى في أكثر الأحيان غير معروفة، ولكن ليس كل ما نحب وما نكره من هذا القبيل

(بغداد) حسين الظريفي
المحامي

قبل الرحيل

نشـــيد الأغلال !!

[إلى ذات الرداء الجازع ... !!]

للأستاذ محمود حسن إسماعيل

سئمتُ عذابَ الحبِّ ! فليمضِ عطرُهُ
وسحرُ أغانيهِ إلى غيرِ رجعةِ !
سقاني بما لم يُسقَ منهُ مُحيَّرٌ
على الأرضِ ... يُسقى الموتَ في كلِّ خطوةِ
وقيَّدَ أيامي بنارٍ حملتُها مقيَّدةَ الأنفاسِ حولَ سريرتي !
وألقى شبابي في هشيمٍ مُفزَّعٍ
يُباغتُهُ الإعصارُ من كلِّ وجهةِ ...
فيا من أناديها ... فيأتي جوابُها
أناشيدَ أحزانٍ تفتَّتُ مهجتي
ويا من أوافيها وقلبي مُرفرفٌ
فيرتدُّ مخنوقَ الأسى كالذبيحةِ
ويا من أغنِّيها فينسابُ دمعُها كأنَّ أغاريدي معينُ البليَّةِ
ويا من يحبُّ القلبُ ... دنياكِ طلقةٌ
فخلِّي بقايا الحبِّ تُبلي بقيَّتي !
هبيني انطلاقَ الروحِ ... إنَّ صبابةً
من الأفقِ الأعلى تنادي حُشاشتي
عبدتُكِ حتى لم أدعْ لمتيَّمٍ
على هذه الدنيا خيالاً لنشوةِ ...
سلي العشبَ ... هل خمرُ الأصيلِ تدفَّقتْ
لغيرِ خُطانا فوقَهُ كلَّ زورةِ ؟

سلي الريحَ ... كم مرَّتْ بنا وهي زائرٌ
يُرنِّحُ بالأنفاسِ نايَ « الجزيرةِ » ؟
لها زجلٌ دامي الرنينِ كأنَّما تُذيعُ شكاياتِ الزمانِ الخفيَّةِ
أدارتْ كؤوسًا أترعتها بحبِّنا
غرامًا ، وطارتْ للضفافِ البعيدةِ ...
هبينا رياحًا يا رياحُ ! وسافري سرابًا بنا نحوَ المغاني السعيدةِ
شقينا على الدنيا فلم نرَ فوقها سوى خطواتٍ حائراتِ التلفُّتِ
ألا ليتَ هذا العمرَ كأسًا ، وحبَّنا
رحيقًا ، فنحسو الحبَّ حتى الثُّمالةِ !!
هبيني انطلاقَ الروحِ ... إنِّي مُصفَّدٌ
يُجرَّعُ من وهمِ الهوى وهمَ خمرةِ ...
أدورُ بعيني تائهًا فأرى الصِّبا ظلامًا شقيًّا في ليالٍ شقيَّةِ
وأسكرُ ... لا من أيِّ خمرٍ ! وإنَّما
غرامُكِ والأشعارُ أذَّنَّ يقظتي !!
أراكِ فيهتاجُ الأسى في سريرتي
كما هاجتِ الذكرى بنفسٍ حزينةِ
بعينيكِ معنًى لستُ بالغَ سرِّهِ
ولو قادَ نورُ الغيبِ أسرارَ نظرتي
رحيقٌ بكأسٍ ؟ أم سكونٌ بواحةٍ ؟
ورؤيا بفجرٍ ؟ أم صلاةٌ بكعبةِ ؟
وفي وجهكِ النشوانِ عطرُ صبابةٍ يذكِّرُ أحلامي بطهرِ النبوَّةِ
وصوتُكِ أم ذكرى حنينٍ مُرجَّعٍ
يُدندنُ في قلبٍ غريبٍ مشتَّتِ ؟
أحسُّ بهِ في كلِّ فجٍّ بخاطري صدى قُبلةٍ حيرى إليَّ تهادتِ
رفيفٌ بأيكٍ ؟ أم نشيدٌ على فمٍ إلى اليومِ لم يخفقْ صداهُ بنبرةِ ؟
سرقتِ حياةَ الموجِ ، طورًا وديعةً
كحُلمٍ حزينٍ ، أو تبسُّمِ طفلةِ
وطورًا هديرُ البحرِ منكِ ارتعاشُهُ
كأنَّكِ بحرٌ من شبابٍ وفتنةِ !

وَصَدْرُكِ لَوْ يَدْرِي الْهَوَى وَهْوَ قَاتِلِي
أَمَانٌ لِرُوحِي مِنْ رِيَاحِ الْمَنِيَّةِ
نَشِيدٌ بِهِ لِلْحَنَانِ مِنْ قَلْبِ مِزْهَرٍ
يَدُ اللهِ كَانَتْ فِيهِ أَقْدَسَ رِيشَةِ
وَطَيْرَانِ فِي أَيْكٍ زَوَى الْخُلْدُ عِطْرَهُ
فَحُرِّمَ لَا يَسْرِي بِهِ طَيْفُ نَسْمَةِ
وَحُلْمَانِ ... لَكِنْ مِنْ لَهِيبٍ وَنَشْوَةٍ
غَرِيقَانِ فِي الرُّؤْيَا بِأَطْهَرِ غَفْوَةِ !

وَذَاتُكِ فَجْرٌ فِي لَيَالِيَّ هَائِمٌ   يُبَارِكُ بِالْأَنْوَارِ مِحْرَابَ عُزْلَتِي
تنزَّهَ عَنْ قَيْدِ الزَّمَانِ ، فَعُمْرُهُ   خُلُودٌ مُضِيءٌ فِي الضُّحَى وَالْعَشِيَّةِ
وَثَغْرُكِ يَا وَحْيَ الْأَنَاشِيدِ رَحْمَتِي   إِذَا طَغَا الْإِلْهَامُ أَشْعَلَ غُلَّتِي

غِنَائِي ، وَخَمْرِي ، وَانْتِعَاشِي ، وَسَكْرَتِي
وَسِحْرِي ، وَشِعْرِي ، وَابْتِهَالِي ، وَسَجْدَتِي

تَمَنَّعَ حَتَّى كَادَ لَوْ خَطَرَتْ بِهِ   بَنَانُكِ يَسْقِيهَا عِتَابَ الْقَدَاسَةِ !
كَأَنِّي بِهِ نَبْعٌ مِنَ النُّورِ وَالْهَوَى   تَخَيَّرَ لِلْحِرْمَانِ أَمْنَعَ ذِرْوَةِ

هَبِينِي شُعَاعًا فِي الضُّحَى رَفَّ حَوْلَهُ
وَصَلَّى وَلَاقَى اللهَ فِي خَيْرِ بُقْعَةِ ...

سَلَامًا نَجِيَّ الرُّوحِ يَا طَيْفَ رُوحِهَا   إِذَا هِيَ أَشْقَاهَا هَوَانَا فَمَلَّتِ
تَظَلُّ تُصَافِينِي إِذَا صَدَّ نُورُهَا   وَتَحْنُو إِذَا ازْوَرَّتْ دَلَالًا وَتَاهَتِ
أُرِيدُ لِأَنْسَاهَا ... فَأَلْقَاكَ فِي دَمِي   نَبِيًّا مِنَ الذِّكْرَى عَتِيَّ الرِّسَالَةِ

تُشَعْشِعُ بِالْأَحْلَامِ رُوحِي وَفِي الْكَرَى
تُفَجِّرُ مُوسِيقَا الْحَنَانِ الشَّجِيَّةِ ...

سَلَامًا حَبِيبَ الرُّوحِ ... يَا طَيْفَ رُوحِهَا
أَغِثْ شَجَنِي ، وَارْحَمْ شَبَابِي وَعِلَّتِي !
أَعِنِّي عَلَى نِسْيَانِهَا ... وَامْضِ طَائِرًا
يَعِيشُ عَلَى ذِكْرَى الْهَوَى فِي الْخَمِيلَةِ

تَرَكْتُ لَكَ الْمَاضِي رَبِيعًا مُقَدَّسًا   فَأَيَّانَ تَطْرُقْ فِيهِ تَسْمَعْ نَمِيمَتِي
فَفِيهِ جَلَالٌ مِثْلَمَا فِيكَ خَالِدٌ   وَفِيهِ كَمَا فِيهَا عَوَالِمُ هَيْبَةِ
وَفِيهِ رُبًى خُضْرُ الظِّلَالِ عَوَارِفٌ   بِسِرِّ هَوَانَا فِي شَذَى كُلِّ زَهْرَةِ

فَطُفْ مِثْلَمَا طُفْنَا زَمَانًا بِسَاحِهِ
وَذُقْ فِيهِ طَعْمَ السِّحْرِ مِنْ كُلِّ ذَرَّةِ

وَنَاجِ طُيُورًا لَمْ يَزَلْنَ بِأُفْقِهِ   يُرَتِّلْنَ تَوْرَاةَ الْهَوَى كُلَّ لَيْلَةِ
وَحَوِّمْ عَلَى غُدْرَانِهِ تَلْقَ عِنْدَهَا   أَمَاسِيَّنَا سَكْرَى عَلَى كُلِّ ضِفَّةِ

وَعَلِّمْنِيَ السُّلْوَانَ إِنْ كُنْتَ سَالِيًا
فَإِنِّي عَنْهُ فِي عَمَاءٍ وَضَلَّةِ

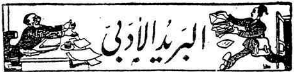
ظَلَلْتُ عَلَى نَارِي أُرَاوِدُ طَيْفَهُ   فَيَخْفَى وَيَرْمِينِي بِنَارٍ جَدِيدَةِ !
فَيَا رَبَّةَ الْأَحْلَامِ فُكِّي وَثَاقَهَا   وَلَا تَحْسَبِيهَا غَيْرَ رُؤْيَا جَمِيلَةِ

تُرِيدِينَ أَسْرِي فِي الْهَوَى ، وَأَنَا الَّذِي
تُحَطِّمُ أَغْلَالَ الزَّمَانِ سَكِينَتِي !

أَلَا أَطْلِقِينِي لِلسَّمَاءِ ، وَحَلِّقِي   إِذَا شِئْتِ فِي دُنْيَا خَيَالِي الرَّهِيبَةِ
غَدَوْتُ رَمَادًا أَنْتِ سِرُّ انْطِفَائِهِ   وَأَنْتِ بِهِ سِرٌّ يُخَلِّدُ جَذْوَتِي ...
أَلَا مَنْ لِطَيْرٍ فِي رَوَابِيكِ هَائِمٍ   وَيَشْتَاقُ لِلْحِرْمَانِ فِي كُلِّ لَحْظَةِ !

هَبِيهِ لِصَحْرَاءِ الْأَسَى ، فَلَرُبَّمَا
يُضِيءُ مِنَ الْأَحْزَانِ نُورُ الْحَقِيقَةِ !

محمود حسن اسماعيل



صاحب اللحية البيضاء

١ — سيدى الفاضل رئيس تحرير الرسالة الغراء

صورت لنا فى عدد الرسالة الماضى بقلمك الممتاز صورة صادقة حية لمجرم بالطبع criminel né الذى نادى بوجود أمثاله العبقرى الفذ لمبروزو Lambrozo ، إذ يقول إن عدداً كبيراً من المجرمين معرضون حتما لارتكاب الجرائم إذ يولدون وتولد معهم غرائز سيئة تحول بينهم وبين المعيشة الصالحة ، وما يستطيعون لنزعات الشر مقاومة . ويتميز هذا المجرم بصفات خَلقية وخُلقية : فهو قصير القامة كذى اللحية البيضاء ، صغير الجمجمة ؛ ضيق الجبهة، ناتىء عظام الخدين ، دقيق الشفتين ، غائر العينين ، منفرطح الأذنين ، كبير الفك الأسفل ، بليد الحس الأدبى (dûrete du sens moral)

ولئن فشلت نظرية هذا الجهبذ فما كان ذلك إلا لأنهم خشوا منها على الأخلاق ، فمادام المجرم يعلم أن الجريمة مقدرة عليه كقسمة الأرزاق، مات ضميره واندفع كالتيار العرم يكتسح أمامه كل شىء، ولا يصبح لكلمات العدالة والجزاء والقصاص قيمة ما ، ومعنى ذلك الفوضى المطلقة . على أن علماء الوراثة بما قاموا به من دراسات فنية وإحصائية قد أقاموا الدليل على وراثة صفات الإجرام من جيل لجيل تذكيها فساد البيئة وانحطاط الوسط الاجتماعى

فليتك يا سيدى المحترم ترشدنا نحن أعضاء معهد الدراسات الجنائية العليا إلى هذه الشخصية النادرة . فما وجدنا طيلة دراستنا بالسجون المصرية والإصلاحيات إلا إجراماً مكتسباً ؛ فلعلنا نجد فى ذى اللحية البيضاء ما يؤيد نظرية العالم الإيطالى

عباس فهمى محمد بدر
بالمعهد الجنائى

(الرسالة) : الصفات التى ذكرها الكاتب الفاضل تنطبق على ذى «اللحية البيضاء» ؛ وهو الآن سجين بمركز طلخا ، ومن الممكن زيارته فيه

٢ — سيدى الأستاذ الكبير رئيس التحرير

وبعد فأمر صاحب (اللحية البيضاء) موضوع حديثكم الشيق فى الرسالة الماضية ليس بخاف على أهل العلم ، فهذا الرجل يشكو إغراقاً فى تعويض نقص ، وهو علة نفسانية تنشأ مع من تجوهلت شخصيته فى طفولته بتحكم الوسط الذى نشأ فيه لحد ذلك من التمتع بالقوة فى كافة مظاهرها ، وهى غرض كل كائن حى ، ونتيجة هذا الحد أن القوة النفسية المحرومة من العمل تلجأ إلى الإغراق فى إظهار كيانها لإثبات وجودها المنكور عليها . فالإجرام فى ضوء علم النفس الحديث هو تعويض نقص تعويضاً مغرقاً

وكان رأى لمبروزو فى أوائل هذا القرن أن الإجرام استعداد وراثى ، ولكن علم النفس الحديث لا يميل للأخذ بهذا الرأى الآن ؛ ويرى أن التربية فى سنى حياة الطفل الست الأولى مصدر كثير من العلل النفسانية والاجتماعية

على أن هناك تعويضاً طبيعياً : فالأصم الذى تقعده أذنه عن إدراك ما يناله غيره تراه ينزع إلى تعويض هذا النقص بالنشاط فى ناحية أخرى . وهنا يكون النبوغ عادة

قال أناتول فرانس مرة : إن نابليون كان متهماً فى رجولته ، فأشعل الحرب فى كل أوربا إعلاناً لرجولته . ومثل هذا القول يقال فى كل إنسان حدت ظروفه من ممارسته حقه الطبيعى من القوة

كامل يوسف
عضو المعهد البريطانى الفلسفى بلندن

مراكز الثقافة العربية فى القاهرة ودمشق وبغداد

تقدمت المباحثات بين وزارة المعارف وبين الهيئات التعليمية المختصة فى كل من العراق وسورية وفلسطين ولبنان فى سبيل إنشاء مكتب التعاون الثقافى بين هذه البلاد وإيجاد وحدة ثقافية عربية تجمع الشباب العربى تحت علم هذه الثقافة

وقد علمنا أن النية متجهة إلى إنشاء مراكز لهذه الثقافة العربية الموحدة فى كل من القاهرة ودمشق وبغداد يمكن من طريقها تبادل الآراء وإلقاء المحاضرات العلمية والأدبية التى يتردد صداها على نطاق واسع فى هذا المحيط

والمفهوم أن الأقطار العربية الشقيقة قابلت مشروع التعاون بينها وبين مصر بارتياح كبير

كم ذا ...

١ — أشكر للأستاذ الفاضل إبراهيم أبى الخشب دقته وأدبه ، ولكنى أعجب من إنكاره على سلوك مذهب التخريج والتأويل والإعراب ... فى الحكم على (حافظ وأبى الطيب) حين استعملا

هذا التعبير (كم ذا ...) فقد أراد الأستاذ فى كلمته الأولى إقامة هذه العبارة إلى جهة أو التماس شاهد من كلام يحتج به

فأما إقامتها إلى جهة فما أظنها تؤدى معنى غير تخريج العبارة على وجه من وجوه النحو والبلاغة ، وهذا ما ذهبت إليه فى كلمتى السابقة ؛ وكنت ولا أزال أنتظر من الأستاذ أن ينظر فى وجوه التخريج التى أخذت بها

وأما الشاهد الذى يتمسك به متابعة للآمدى وأمثاله من علماء أصول اللغة فلا يزال يعوزنى ، ولعل هـذا التعبير من أوليات (أبى الطيب) وعهدنا به مبتدعاً جريئاً . وإنى لحسن الظن به وإن غضب (ابن خالويه) . والسلام محمود البشبيشى

٢ — قرأت إجابة أستاذنا الجليل البشبيشى ؛ ثم عدم اقتناع الأستاذ « أبو الخشب » بمـا جاء فيها ، فرأيت أن أدلى برأى أعتقد أن فيه شفاء الغلة .

(ا) أرى أن بيت المتنبى « كم ذا بمصر من المضحكات ... » على هذه الرواية ، وعلى فى ذلك أن المتنبى كانت له ألفاظ يكثر استعمالها فى شعره ، ومن هذه الألفاظ « ذا » (راجع يتيمة الدهر جـ ١ ص ١٣٧ طبعة الصاوى) وقد تابع حافظ المتنبى فى مثل هذا التعبير .

(ب) لم أجد شاهداً من أشعار العرب ، ولا من مأثور كلامهم على مجىء « ذا » بعد كم على طول ما بحثت ، وإن كان هذا لا يمنع من جواز وجوده .

(جـ) مثل هذا التعبير لا يتنافى مع قواعد اللغة ، ومن السهل تخريجه بأعراب ذا منادى حذف منه حرف النداء . وكم خبرية حذف تميزها .

(د) قد يعترض على هذا التخريج من يقول إننى ارتكبت من أجله حذف تميز كم الخبرية وحذف حرف النداء من اسم الإشارة . وردى على مثل هذا المعترض هين

فأما حذف تميز كم الخبرية فإن النحاة قالوا إنه غير حسن ، ولم يمنعوه (راجع ابن يعيش جـ ٤ ص ١٢٩ المطبعة المنيرية) وإذا راعينا ما أبيح للشعراء من جواز الجرى على الآراء غير الحسنة لم نجد فى ذلك قبحاً . وإذا نحن احتكمنا إلى معنى البيتين وجدناه رائعاً

وأما حذف حرف النداء من اسم الإشارة فجرى فيه المتنبى على رأى الكوفيين الذين استدلوا على جواز ذلك بقوله تعالى : « ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم » .

ومن المعروف أن المتنبى نشأ فى الكوفة ، فلا عجب إذا جرى على آرائهم فى كثير من شعره مما عده العلماء — جهلاً منهم — خطأ من المتنبى . وهذا هو يقول :

« هذى برزت لنا فهجت رسيسا »

فحذف حرف النداء من أسم الإشارة مصداقاً لما ذهبت إليه .

(منيل الروضة) راتب خليفة

الصفاء بين الأدباء أيضا

(بقية المنشور على صفحة ٥٩٠)

أنا الذى لا ينام الليل إذا استدان قرشاً حتى يوفيه ، هل كنت أستطيع أن أنام طويلاً على دين مثل هذا الدين ؟ !

وبعد ... فليسمح لى الدكتور طه أن أداعبه قليلاً : إنك — أيها الدكتور العزيز — قد شهرت أمرى للناس هذه الشهرة الواسعة ... ولـكن ... هل ترى وقد مضى على ذلك نحو عشرة أعوام — أن الأدب العربى قد أفاد حقاً من ذلك شيئاً يستحق هذا العناء ؟ قد تجيبنى بابتسامتك الساخرة : « وما لنا وللأدب العربى ؟ حسبك أنك أنت قد انتفعت يا توفيق الحكيم ! »

آه ... أيها الدكتور العزيز ... هنا تجدنى أجيبك بابتسامة حزينة : إنى لم أنتفع بقدر ما أضعت ، فإن الشهرة قد جاءتنى حقيقة ببعض المال ... ولـكن ، هل كنت محتاجاً إلى ذلك المال ؟ إنى لم أكن معسراً ولا فقيراً . أجاءتنى بالمركز الاجتماعى ؟ كلا ... فقد كنت قبلها من رجال القضاء المحترمين ، ولو أنى بقيت كذلك ، ولا شىء غير ذلك ، لظفرت بالحياة الهانئة الهادئة النافعة — على الأقل — للعدالة والناس ، ولتزوجت الزوجة الصالحة ، وأنجبت الأولاد البررة المفلحين ...

ولـكن الشهرة وما يحيط بها من الإشاعات والأقاويل والأباطيل قد حالت بينى وبين ذلك الخير ؛ فبعد أن كانت تسعى إلى طلبى الأسر وأنا فى القضاء تحوطنى الثقة والهيبة أصبحت تنفر منى اليوم ويحملنى الجميع عبء الإثبات لأقنعهم بأنى محل ثقة واطمئنان ! لقد جاوزت الأربعين وما أبصر بعدُ فى الأفق طيف واحة مورقة فى صحراء حياتى المحرقة . ما قيمة الشهرة بغير سعادة ؟ وفيم الأدب والفن بغير هناء ؟ إن أردت الحقيقة أيها الصديق فإن خير ما أعطيتنى كانت صداقتك الأولى التى دامت شهرين ... ثم ... ثم إذا كل شىء بعد ذلك يتحول إلى كلمات فى كلمات وهباء فى هباء ... والسلام . توفيق الحكيم

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)